عادل عزت

بعض الملامح

شِعر

الأيادي

بعض الملامح

عادل عزت

الأيادي

بعض الملامح

المؤلف : عادل عزت

الناشر : الأيادي للنشر والتوزيع - تليفون : 012 476 24 39

الطبعة الأولى : القاهرة 2015

رقم الإيداع بدار الكتب : 2015 / 7929

جميع الحقوق محفوظة

زيارة لأنوار قديمة

هَـلِ ابْـتَـدَأتْ بِـلادُ الـعَـرَبِ حَضارَتَـها حِـيـنَـمـا بَـدَأَ امْـرُؤُ الـقَـيْـسِ يَـسِـيـرُ حالِـمًا فـي الـظَّـلامْ ؟!

مـا قَـبْـلَـهُ مِـنْ شِـعْـرٍ قَـدْ ضـاعَ ، وظَـلَّـتِ الألـفـاظُ والأحـلامْ .

نَـظَـرَ فـي الـنُّـجُـومِ فَـظَـنَّ أنَّـهـا ثـابِـتَـةٌ كـأنَّـمَـا أمْـسَـكَـتْـهَـا خُـيـوطٌ مَـشْـدودَةٌ بِـجَـبَـلٍ فـي الـلَّـيْـلِ يُـقِـيمْ .

مُـنْـذُ قُـرونٍ والجَـبَـلُ بـاقٍ فـي بَـيْـتِ الشِّـعْـرِ ، ولَـنْ يـأتِـيَـهُ صَـبـاحْ .

ظَمَأٌ أبَدِيٌّ ، والخَمْرُ تَأتِي بأشواقٍ لا أحَدَ يَدْري أينَ كانَتْ تَتَخَفَّى ، والسُّكْرُ ارْتِحالٌ يَجْعَلُهُ يَرَى ما يُشبِعُ مِنَ الأشْياءْ .

أكانَتِ المَعَاني تُحاوِلُ أنْ تَتَغَلَّبَ عَلَى الأيَّامْ ؟

لَعَلَّهُ أوْهَمَ نَفْسَهُ أنَّهُ يَسْتَطيعُ أنْ يَتَلَمَّسَ عَنْ بُعْدٍ ذلكَ الغَيْبَ الذي يَنْتَظِرُهُ في الآفاقِ ، وأنْ يُصْغي إلى دَسائِسَ كانَ أصحابُها يَكْمُنونَ وراءَ الجِبالْ .

لَـيالٍ تَـذْهَـبُ نَـحْـوَ لَـيالٍ فَـأوْحَـتْ لَـهُ الصَّحارَىٰ : كُـنْ مِـنَ الأَشْـبـاحْ .

غُـمـوضٌ مُـسْـتَـمَـدٌّ مِـنَ الخَـوفِ ، وجَـسَـدٌ تَـحَـيَّـرَتِ الشَّـهَـواتُ فِيـهِ ، وذَهـابُـهُ للثَّـأرِ سَـوْفَ يَـجْـعَـلُ نَـفْـسَـهُ بَـعْـضًا مِـنْ رَمـادْ .

أكانَ وهـو المَـمْـلُـوءُ بالسِّـحْـرِ حَـرِيًّا أنْ يُـصْـبِـحَ نَـبِـيًّا أمْ كـانَ الـزَّمـانُ حِـيـنَـئِـذٍ مُـتَـثـاقِـلاً ، ومُـنْـعَـزِلاً لا يَـرْضَىٰ بوُجودِ نَـبِـيٍّ في تِـلْـكَ الصَّـحْـراءْ ؟!

خَلَبَتْهُ النِّساءُ ، وكانَ شَغَفُهُ بالخُيولِ ضَرْبًا مِنَ الجُنونِ ، وانْدِفاعُهُ في مَتاهاتِ الرِّمالِ اقْتِرابًا مِنْ كائِناتٍ تَخْتَفِي ثُمَّ تَلُوحْ .

أمَّا الغاوونَ الذينَ اتَّبَعُوهُ فَقَدْ صارَ أكْثَرُهُمْ حَيارَىٰ فمَا نَصَرُوهُ ... لَقَدْ خَذَلوا مَنْ أشْعارُهُ أنْقَذَتْ نُفوسَهُمْ مِنْ حَياةٍ كالجَحيمْ .

مَكَثوا فِيما تَبَقَّىٰ لَهُمْ مِنْ أعْوامٍ مُنْحازِينَ إلىٰ قُعودٍ يُطِيلُ مِنْ أعمارِ الجُبَناءْ .

لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا فَما اسْتَطاعَ أَنْ يُنْصِتَ لِلمَدَى المَمْلُوءِ بِالأَرواحْ .

كانَ الكَونُ حِينَئِذٍ يَتَراءَى صَغيراً فَلاحَتْ لَهُ النُّجومُ شَبيهَةً بِمَصابِيحِ رُهْبانْ .

حَتَّى أَتَى مَنْ قالَ إِنَّ اللهَ نورُ السماواتِ والأَرضِ مُشَبِّهًا ذلكَ النورَ بِمِشْكاةٍ فِيها مِصْباحْ .

إنَّــهُ إيــغــالٌ في الـتَّـصْـغـيـرِ لأجــلِ
الـتَّـعْـظـيـمْ .

والآنَ هــو الـكـونُ بِـدايـاتٌ ونِـهـايـاتٌ
لا تَـنْـتَـهي تَـتَـمادَىٰ مُـحيطَـةً بمَـجَـرَّاتٍ
لا تَـنْـتَـهي ... لَـقَـدِ اتَّـسَـعَ الـفَـضاءْ .

إنْ لاحَـتِ الأرضُ مِـنْ مَـجَـرَّةٍ مُـجـاوِرَةٍ
تَـراءَتْ ذَرَّةً ... ذَرَّةً فِـيـهـا الـقـاتِـلُ
والـمَـقْـتولُ والـعاشِـقُ والـجَـريحْ .

مَسافاتُ السَّماءِ مُحيطاتٌ مِنَ الليلِ
تَتَبَدَّلُ أشياؤها مُتَناغِمَةً مُتَصارِعَةً ،
ومِنْ حَوْلِها ملايينُ الأعوامْ .

كِياناتٌ هائِلَةٌ كأنَّ بِها حَياةً ... أتُراها
تَعِي أنَّها مُتَجاذِبَةٌ ، وأنَّ وجودَها
بِلا غايَةٍ ... كمصائِرِنا بِلا غايَةٍ ...
يا لَهُ مِنْ أسًى ... ما عادَ هناكَ وجودٌ
لسماواتِ القُدماءْ .

لا الشَّمْسُ تَغْرُبُ في عَيْنٍ ، ولَيْسَ عِنْدها مِنْ قَوْمٍ ... إنَّها حرائِقُ صاخِبَةٌ تَأكُلُ حرائِقَ أخْرىٰ بِلا شَغَفٍ ، ولا نَهَمٍ ، ولا أحقادْ .

إنَّها غافِلَةٌ عَنَّا لا تَدْري أنَّ أنوارَنا لَيْسَتْ إلا ما يَتَناثَرُ مِنْها ... غَيْرَ أنَّنا نَبْحَثُ عَنْ أنْوارٍ أخْرَىٰ في أوهامِنا ، وفي ظلامِنا المَمْلُوءِ بأقدارٍ تَبوحُ ولا تَبوحْ .

أكتوبر – نوفمبر 2013

المَفازَة

لَـوْلا آيـاتٌ مَـبْـثـوثَـةٌ في أرجـائِـهِ لَـمَـا اشْـتـاقَـتْ نَـفْـسي إلىٰ الـكِـتـابْ .

كـيـفَ صـارَ الـحَـقْـلُ خَـلاءً ما عـادَتْ بِـهِ إلا شُـجَـيْـرَةٌ ، وعـصـافـيـرُ قَـلـيـلَـةٌ ، وسُـنْـبُـلَـهْ ؟!

أيـنَ أيَّـامٌ كُـنْـتُ أرَىٰ بِـهـا أنْـغـامـاً أُسِـرَتْ في الـبَـسْـمَـلَـهْ ؟!

حَـرَّرْتُـهـا فـانْـتَـشَـرَتْ ... تَـفَـرَّقَـتِ الـحُـروفُ والْـتَـجَـأَتْ إلىٰ حُـروفٍ أخْـرَىٰ ، وظَـلَّـتْ هـاءُ الـلـهِ وَحْـدَهـا .

إنْ تَشابَكَتْ بِلامٍ أحَسَّتْ أنَّها
نِصْفُ إلهٍ ... حِينَئِذٍ يُمْكِنُها أنْ
تَصْعَدَ للسَّحابْ .

جَذَبَتْني أحْزانُ المارِقينَ ... ها أنا
أسِيرُ خَلْفَهُمْ وهُمْ يَبْحَثونَ في
مَفَازَةٍ عن قافِلَهْ .

قافِلَةٍ رحيلُها فِرَارٌ مِنَ القِتالِ
الذي في الكِتابْ .

2014

غرفة القدِّيس

مِـنْ أيـنَ جاءَتْ هَـذِهِ المَـرْأةُ وأنا فـي غُرْفَـتي ... يَـدْخُـلُ مِـنْ شُـبَّاكي غُـروبٌ كأنَّـهُ الظَّـلامْ ؟

شَعَـرْتُ أنَّـها جاءَتْ مِـنْ غَـيْـبٍ لـتَـصـيـرَ بـعـضـًا مِـنْ قَـدَري ... هـا هِـيَ تَـنْـظُـرُ خَـلْـفَـها مُـتَـوَجِّـسَـةً كأنَّـها سارَتْ لَـيْـلَـةً وحَـوْلَـها الـنُّـجـومُ والـظِّـلالْ .

لَـمْ أسْـأَلْـها مَـنْ أنْـتِ ونَـحْـنُ فـي ارْتِـبـاكِ اللَّـحَـظـاتِ الأُولَـى . هَـلْ أدْرَكَـتْ مِـنْ تَـلَـعْـثُـمـي وشُـحـوبـي أنَّـنِـي أحْـيَـا فـي عُـزْلَـةِ الـعُـشَّـاقْ ؟

شَعْرٌ مُنْسَدِلٌ أَسْوَدُ ، ونَظْرَةٌ رَأَتِ اضطِّرابي، وجَسَدُها يُخْبِرُني أنَّها أَسَرَتْني . قالَتْ أَهْدَيْتُ نَفْسِي إليْكَ ثُمَّ ابْتَسَمَتْ .. إيَّاكَ أنْ تَظُنَّ أنَّني النِّيرانْ .

أَمْسَكَتْ بقَميصي فعانَقْتُها ، وكانَتْ غُرْفَتي سَبْعَةَ أعوامٍ مِنَ الحِرمانْ .

ونَحْنُ في تَمازُجٍ حاوَلْتُ أنْ أعْرِفَ أسْرارَها مِنَ اخْتِلاجاتِ عَيْنَيْها وأصْواتِ تَنَهُّدِها . قالَتْ " تَعالَ مَعي " فَذَهَبْنا إلى مَلَكوتٍ تَتَقَدَّسُ بِهِ اللَّحَظاتْ .

ها أنا في سَكَراتٍ مِنَ الإفاقَةِ غَيَّرَتْ أحوالَ رُوْحي فكَأنِّي مُتَّصِلٌ بعِباداتٍ قَدِيمَةٍ تَرْتَقي بالشَّهَواتْ .

عُكوفي عَلَيْها مَعانٍ غامِضَةٌ ... مَعانٍ تَفْنَى ... أمْ تُراها تَنْسابُ في بُطءٍ لتَبْقَى على الأشْياءِ والجُدْرانْ ؟!

مِثْلَ فَتًى غافِلٍ سَأَلْتُ نَفْسي :
لماذا لا تَكونُ الحَياةُ دَهْرًا مِنْ تِلْكَ
النَّشَواتْ ؟

ولماذا تَأتي اللَّحظاتُ التي بِها
يَنْفَصِلُ الجَسَدانْ ؟

أغْمَضَتْ عَيْنَيها لثَوانٍ ... جَسَدُها
العاري مُطْمَئِنٌّ لوجودي وجَسَدي
حِيَالَ وجودِها لا يَكُفُّ عَنِ الأشواقْ .

نَـظَـرَتْ إليَّ وقالَـتْ : " أخْـبَـرَنـي العَـرَّافُ أنَّـني شَـبِـيـهَـةُ بالمَـرْأةِ التـي هـامَـتْ بِذلـكَ الـنَّـبِـيِّ الـذى كـانَ مُـتَّـصِـلاً بـالأحْـلامْ .

لَـمْ يُـطِـعْ مَـيْـلَـهُ إليْـهـا ، ونَـأَىٰ بِـجِـسْـمِـهِ حِـيـنَ تَـشَـبَّـثَـتْ بِـقَـمـيـصِـهِ فـقُـلْـتُ لـلـعَـرَّافِ مُـتَـسـائِـلَـةً : هَـلْ كـانَ مُـحِـقًّا عِـنْـدَمـا قـاتَـلَ رَغْـبَـتَـهُ فـي مُـلامَـسَـةِ الـنِّـسـاءْ ؟! "

ما إنْ صَمَتَتْ حَتَّى شَعَرْتُ أنَّ الظَّلامَ يَفْصِلُ بَيْنَنا فاسْتَسْلَمْتُ لدَقائِقَ مِنَ الإغْفاءْ .

حِينَ أفَقْتُ حاوَلْتُ أنْ أعانِقَها فَلَمْ أجِدْها ... أيْنَ ذَهَبَتْ ؟! رائِحَتُها مازالَتْ تَلْمِسُني ، وجَسَدي يَتَذَكَّرُ ما أفْصَحَ بِهِ جَسَدُها في لَحَظاتِ العِناقْ .

لَمْ تَكُنْ طَيفًا ، ولَسْتُ الذي يَخْتَلِقُ الحِكاياتِ إذا مَرَّتْ بِهِ الأوْهامْ .

فَتَحْتُ شُبَّاكًا فَسَأَلَني المُحَاقُ أيْنَ أنْتَ مِنَ الحَياةِ والأحْياءْ ؟

كُنْتُ مِثْلَ الخَلاءِ وحيدًا ... أيْنَ اخْتَفَتْ ؟! ولِماذا تَرَكَتْني أعاني ليلاً لَسْتُ أعْرِفُهُ ... ليلاً ظَلَّ صامِتًا ثُمَّ أسْمَعَني وَساوِسَهُ ، وأراني رَحيلَ الغَمَامْ .

نَـظَـرْتُ إلى القَـنـاديـلِ فَـجَـاءَنـي هـاجِـسٌ يُـخْـبِـرُنـي أنَّ جَـمَـالَـهـا جَـعَـلَـهـا لا تَـعْـرِفُ الإشْـفـاقْ .

أغْـمَـضْـتُ عَـيْـنَـيَّ لأهْـرُبَ مِـنْ ذاتـي فـصِـرْتُ أزْمـانًـا مُـتـلاحِـقَـةً تَـتَـبـاعَـدُ عَـنْ أزْمـانٍ أخْـرَى ، وتَـبْـحَـثُ عَـنِ الأنْـغـامْ .

صارَ ابْتِعادي نَوْمًا فأوْحَتْ إليَّ الأحلامُ أنِّي مَيِّتٌ ، وأنَّها سَوْفَ تَعودُ فَتَراني مُبْتَعِدًا عَنِ الدُّنْيا ... حِينَئِذٍ قَدْ تَعْرِفُ الإشْفاقْ .

لَسَوفَ تُعانِقُني فَيَنْسابُ دِفْئُها بجِسْمي فأشْعُرُ بِهِ يُحْيِيني ، ويوقِظُني بَعْدَ أنْ أمْسَيْتُ في غُرْفَتي شَيْئًا مِنَ الأشْياءْ .

2014

بعض الملامح

طُفولَتي لَمْ تُفَرِّقْ بَينَ الحَيَاةِ والحِكاياتْ .

كُلُّ حِكايةٍ نهارٌ وسَبْعُ لَيالٍ . إنَّ الأقْدارَ تَحْميني أمَّا الأشرارُ الذينَ غَضِبْتُ عَلَيْهِمْ فَقَدِ اخْتَفَوا في مَجاهِلِ الأيامْ .

لَسْتُ أدْري أيْنَ ولا كَيْفَ تَلاشَتْ طُفولَتي ؟! تَرَكَتْني فصِرْتُ حائِرًا عامًا فعامًا . كُنْتُ أسيرُ نَحْوَ ظِلالٍ تَلوحُ قَريبَةً ثُمَّ في لَحَظاتٍ تَمْضي إلى بَلَدٍ بَعيدْ .

حَتَّى، جاءَتْني التَّفاعِيلُ مُحَمَّلَةً بطبائِعِ النُّفوسِ ، وبالصِّلاتِ التي بَينَ الدُّنْيا والأكوانْ .

في نَوْمي كانَتِ الأحْلامُ نَهْرًا يَجْذِبُني فأذهَبُ إليْهِ عَبْرَ مَمَرَّاتٍ حدائِقَ تُضَيِّعُني ... كُلَّما شَعَرْتُ أنَّني تائِهٌ كَثُرَتْ حَوْلي مَعانٍ تُغْريني ألا أتَوَقَّفَ عَنِ التَّرْحالْ .

لا أسْتَطيعُ ، ولا أريدُ أنْ أعودْ .

ما الذي حَلَّ بوجودي في تِلْكَ السَّنَواتْ ؟!

غَيْبيَّاتٌ لا أعْرِفُها ، ولَنْ أعْرِفَها ، وحُمَّى بِها نَشَواتْ .

كأنِّي كُنْتُ مُنْعَزِلاً في خَلاءٍ . أنامُ تَحْتَ النُّجومِ ، وأصْحو عَلَى صَوْتِ رَحيلِ الخُيولْ .

كانَ الظَّلامُ رَحيمًا يُخْفي عَنِّي كثيرًا مِنَ المآسي ، وهناكَ أطْيافٌ تُخْبِرُني أنَّني ذاهِبٌ إلى حِكاياتٍ أخْرَى يَموتُ مَنْ عاشوها ومَنْ كَتَبوها ... حِكاياتٍ بَعْضُها يأبَى أنْ يَموتْ .

أكانَ الشِّعْرُ وهو الذي يَبوحُ بأسرارِ الأزْمانِ يَسْتَخِفُّ بمَصِيري حينَ أهْداني مِئاتِ السِّنينْ ؟!

حَمَلْتُها طائِعًا . لَمْ أكُنْ إلا عابِرًا لا أحَدَ يأبَهُ بمَصيري ، وإنِّي مِثْلُ كَثيرٍ مِنَ النَّاسِ مُتَّصِلٌ بالأسَىٰ وبالأنْغامِ التي يُضْمِرُها الوجودْ .

قَدْ تَخْطَفُني وعُودٌ تَبوحُ بِها ابْتِسامَةُ فَتاةٍ فأُدْرِكُ أنَّني ذاهِبٌ إلىٰ لَيْلٍ لَنْ يَمُرَّ بسَلامْ .

إنَّـهُ عَـطَـشُ الـسَّـائِـرِ فـي نَـهـارِ البَساتينْ .

مُـحَـلِّـقًـا كُـنْـتُ ، ورُوَيْـدًا رُوَيْـدًا أثْـقَـلَـتْـنـي ألـوفُ الـتَّـفـاصـيـلِ الـتـي لابُـدَّ أنْ تـأتـي بـهـا الأعْـوامْ .

كـأنَّـنـي ... بَـلْ إنَّـنـي رَأيْـتُ الـشِّـعْـرَ مَـعابِدَ نـارٍ ، وقُـلْـتُ يَـنْـبَـغـي عَـلَـى الـشِّـعْـرِ أنْ يَـكـونَ بلا قَـداسَـةٍ فَـلَـمَّـا دَخَـلْـتُ إلى أصْـواتِ حَـرائِـقِـهِ تَـطَـهَّـرْتُ مِـنْ خَـبـائِـثِ الذيـنَ ارْتَـضَـوا أنْ يَـكـونـوا مِـنَ الـعَـبـيـدْ .

تَحَرَّرَ قَلْبي مِنْ طُغَاةٍ يَتَجَمَّلونَ بالدِّينِ ، ومِنْ طُغَاةٍ يَتَجَمَّلونَ بالأكاذِيبْ .

كُلُّهُمْ خَبِيثٌ يَخْرُجُ إلى النَاسِ بَشُوشًا ، وقَلْبُهُ خائِنٌ يُضْمِرُ لَهُمُ التَّرْهيبَ ، والوَعيدْ .

ولأنَّ رُوحي مَوْصولَةٌ بمِصْرَ التي خَلَقَتِ الفَضائِلَ جَمِيعًا وَجَدْتُني أتَقَرَّبُ مِنَ النَّاسِ مُحِبًّا فَصِرْتُ أبِيًّا أشْعُرُ مَحَبَّتَهُمْ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ تَوَجُّسِهِمْ أنَّني مُتَباعِدٌ عَمَّا بِهِ يؤمِنونْ .

أَلَسْتُ أضْعَفَ مِنْ شُجَيْرَةٍ ؟! كيفَ
إذَنْ جازَفْتُ فأرْسَلْتُ كَلِماتٍ
أرَتْني غُروبَ مَغاراتٍ يَحْتَمي بِها
الأوغادْ ؟

إنْ أوْمَأتُ في قَصيدَةٍ إلى مُسْتَبِدٍّ
صارَ مَسْخًا مُسْتَوْحِشًا ، وحَوْلَهُ
أكاذيبُهُ ، ودِماءُ ضَحاياهُ ، وفي أعْماقِهِ
رُعْبٌ مِنْ أصواتٍ تأتي مِنَ
المُسْتَضْعَفينْ .

كِتاباتُ مُنافِقِيهِ تَسْتَحيلُ هَشِيمًا يَشْتَعِلُ في جِسْمِهِ المَسْكونِ بِعِشْقِ ذاتِهِ المَمْلوءَةِ بالتَّفاهَةِ ، والظُّنونْ .

وأنا فَتًى رأيْتُ أبي خائفًا لأنَّ بَعْضَ أصْدِقائِهِ عُذِّبوا في سُجونٍ بِها ما يَجْعَلُ الأجسامَ أشْباحًا تَتَمَنَّى المَماتْ .

ثُمَّ بَعْدَ شُهورٍ مِنْ ذلكَ الظَّلامِ الحافِلِ بالهَلاكِ قالَ الجَلادُ لَهُمْ يُمْكِنُكُمْ أنْ تَذهَبوا فأنْتُمْ أبرياءْ .

شُبُهاتٌ واهِيَةٌ أطْفَأَتْ ألوفًا مِنَ النَّاسِ ، والحَاكِمُ الذي أعْوانُهُ لُصوصٌ وُجودُهُ يُدَمِّرُ البِلادْ .

كانَ تَجَسُّسُهُمْ عَلَى النَّاسِ يَحْمِيهِمْ فأَسْلَموا أنْفُسَهُمْ مُطْمَئِنينَ إلى سَهَراتٍ مِنَ الدُّخَّانْ .

وكَمِ امْرَأةً يا زَعيمُ قَدْ أُكْرِهَتْ مِنْ أصحابِكَ عَلَى البِغاءْ ؟!

ولِماذا مَنْ كانوا يَمْتَلِكونَ ذَكاءً وتَوَثُّبًا أصْبَحوا مِثْلَ بَراعِمَ داسَتْها أقْدامُ السُّفَهاءْ .

كانَ الصَّنَمُ صَخْرَةً جَوْهَرُها انْكِسارٌ فإذا بِهِ يَنْهارُ حُطَامًا ... رأيْتُ مِصْرَ تَبْكي عَلَى الذي سارَ بِها إلى الخَرابْ .

مِنْ بَعْدِهِ جاءَ الأسْمَرُ المُتَأنِّقُ الذي أشاعَ أنَّ مِصْرَ عائِلَةٌ ، وهو كَبِيرُها . كانَ كَبيرُ العائلةِ مِثْلَ سَلَفِهِ يَسْتَبْدِلُ المُنَافِقينَ بالمُنَافِقينْ .

غَيْرَ أنَّهُ قَدْ جَعَلَ الجُنودَ تَمْضي في حَرْبٍ بَثَّتْ رُوحًا تَمَكَّنَتْ مِنَ النُّفوسِ جَميعًا فصِرْنا عَلَى يَقينٍ أنَّ مِصْرَ قَدْ أفاقَتْ مِنَ المَوَاتْ .

إنَّها قادِرَةٌ أنْ تَكونَ فَذَّةً رائِعَةً مُتَجانِسَةً فإذا بالأسْمَرِ الذي صارَ أكْثَرَ تأنُّقًا وولَعًا بالظُّهورِ يَسيرُ بالبِلادِ إلى مَتاهاتٍ جَعَلَتْ تِلْكَ الرُّوحَ التي هي آمالٌ تَمْضِي وتَزولْ .

بَعْدَ الحَرْبِ غالَى في ثِقَتِهِ بالقُوَّةِ الكُبْرَى ثُمَّ صارَ يَتَقَرَّبُ مِنْ أحْفادِ صُهْيونْ .

كأنَّهُ أرادَ أنْ يُعاقِبَ النُّبلاءَ الذينَ ما بَخِلوا بأرواحِهِمْ حينَ حارَبوا أحْفادَ صُهْيونْ .

لَعَلَّ تَدَيُّنَهُ أوْحَى لَهُ أنَّ اللهَ يُلْهِمُهُ فمالَتْ نَفْسُهُ إلى زَهْوٍ مُخْتَلِطٍ بالأوهامْ .

نَسِيَ أيامَ كانَ فَقيراً فتَغاضَى عَنِ المُفْسِدينَ، وقَرَّبَ مِنْهُ بَعْضَ الخُبَثاءِ مِمَّنْ يَحْمِلونَ رُوحَ الإخْوانْ.

مَنِ الذي أوْعَزَ إليكَ أنْ تَجْعَلَ مِنْ مَدائِنِ مِصْرَ كِياناتٍ تَزدادُ وتزدادُ حَتَّى تَأكُلَ ما حَوْلَها مِنْ حُقولْ؟!

يا أنْتَ يا إخْوانِيَّ الهَوَى تَرَكْتَ المَخابيلَ يَعْبَثونَ فانْتَشَرَتْ مُكَبِّراتُ الصَّوْتِ إرْهاباً للنَّاسِ، وارْتَفَعَتْ مَنْزِلَةُ الأرْذالْ.

أخَـذَتْ قُـلـوبُ الـمِـصـريِّـيـنَ تَـتَـلَـوَّثُ بـالـخُـرافـاتِ ... كأنَّـهُـمْ دَخَـلـوا في غُـروبٍ دائِـمٍ .. بِـهِ يَـزْدادونَ فَـقْـرًا وخُـنـوعًا ، ويَـزدادُ شَـغَـفُـهُـمْ بـالإنـجـابْ !

صـارَ الـجُـهـلاءُ مِـنْ أصْـحـابِ الـلُّـحَـى يَـتَـكَـلَّـمـونَ في ثِـقَـةٍ حَـتَّـى ظَـنَّ سامِـعـوهُـمْ أنَّـهُـمْ عَـلَـى عِـلْـمٍ بـالـذي يُـخَـبِّـئُـهُ الـلـهُ مِـنْ غَـيْـبِـيَّـاتْ .

تَمادَوا حَتَّى أتَى يَوْمٌ فإذا بِكَ أنْتَ المَقْتولْ .

تَرَكْتَ مِصْرَ ضائِعَةً مُهيَّأةً لأنْ يَحْكُمَها مَنْ هُوَ قَليلُ الذَّكاءِ ، حَقيرُ الوِجْدانِ ... كُنْتُ أسْمَعُهُ فأجْزِمُ أنَّ قَصْرَهُ لَيْسَ بِهِ مِنْ كِتابْ .

يَحْمي حُكْمَهُ بتَدْميرِ العُقُولِ ، وإعلاءِ شَأنِ أصْحابِ الفَسادْ .

سِتِّينَ عامًا وأنْتُمْ تُخَرِّبونَ مِصْرَ
يا حُثالَةُ ... يا نَعِيقَ الخَلاءِ ، ويا أباطِيلَ
الأوْثانْ .

يا لَيْتَني مِتُّ قَبْلَ أنْ أرَىٰ شُبَّانًا
لا يُحِبُّونَ مِصْرَ بَلْ وشُبَّانًا يَكْرَهونَها .
إنَّني أبْكي نَفْسي ، وأبْكي جِيلي ...
حياتُنا كانَتْ نُزوحًا مِنَ اسْتِبدادٍ
إلىٰ اسْتِبدادْ .

ويا حُثالَةُ ... كُنْتُمْ في حَرْبٍ قاتَلْتُمْ
فيها شَعْبَكُمْ فانْتَصَرْتُمْ ، واسْتَمَرَّ
انْتِصارُكُمْ حَتَّىٰ صارَ اكْتِساحًا ...
يا لَهُ مِنْ جُنونْ .

سَرَقْتُمْ أموالاً تَكْفيكُمْ قُرونًا...
عَلَيْكُمْ إذَنْ ألا تَموتوا ، وعَلَى
ضَمائِرِكُمْ أنْ تُوَسْوِسَ لَكُمْ أنَّكُمْ
آلِهَةٌ يُمْكِنُها أنْ تَحْتَقِرَ البَشَرَ
الفانينْ .

عَلَى بُعْدِ أمْيالٍ قَليلَةٍ مِنْ قُصورِكُمْ
أظْهَرَ الفَقْرُ أحْوالَهُ وغَرائِبَهُ ...
أنْتُمُ الشَّياطينُ الذينَ يَمْتَصُّونَ
دِماءَ النَّاسِ ويَجْعَلونَهُمْ يَعيشونَ
كالأمواتْ .

نَعَمْ إنَّ هناكَ صِلاتٍ بَيْنَ جَنَّتِكُمْ ، وبَيْنَ ملايينِ الأجْسامِ التي مَأواها الطُّرُقاتْ ؟!

لَمْ تَكُنْ نَفْسي مَخْلوقَةً للخَوضِ في تلكَ الخَرائِبِ إلا قَليلاً فهاجَرْتُ إلى أزْمانٍ مَجازِيَّةٍ ، وصِرْتُ مِنْ أُناسٍ لا تأبَهُ بالخُلودْ .

مَشْغوفًا دَخَلْتُ إلى الحَضَاراتِ ... كُلَّما تَوَغَّلْتُ في آمادِها سَألْتُ أيْنَ أنا ؟ فأَوْحَتْ إليَّ المَعاني أنْ أظَلَّ مُسْتَرْسِلاً غَيْرَ مُكْتَرِثٍ بالمَسافاتْ .

جَنَحَتْ بِي مَحَبَّتي فتَناسَيْتُ أنَّ للحَضاراتِ ضَحايا ، ولا لَمْ أنْسَ وأنا أسْتَظِلُّ بأصواتِ غِناءٍ أنَّ الإنسانَ - خِصالاً وخَلايا - مُنْتَسِبٌ إلى غَيْرِهِ مِنَ المَخْلوقاتْ .

كَتَبْتُ أشعاراً كأنَّها أماكِنُ مُتَداخِلَةٌ تَمُرُّ بِها نُفُوسٌ ثُمَّ تَمْضي تارِكَةً أنْغاماً وحِكاياتْ .

كُلَّما كَثُرَ الزَّائرونَ تَحَرَّكَتِ الأشياءُ مُتَباعِدَةً ، وباحَتِ المَرايا بأسرارِ العابِرينْ .

لَمْ يَكُنِ اللَّيْلُ كاذِباً وهْوَ يُوحِي لِلعُشَّاقِ بأنَّهُ لا يَنْتَهي ... ثَمَّةَ نَمْنَماتٌ مُضيئَةٌ في فَضائِهِ فَظَلَّ مُسْتَمْسِكاً بأحْلامِهِ مُدَّعِياً أنَّهُ لا يَنْتَمي إلى الظُّلُماتْ .

تَسَلَّلَتْ رُوحي فانْدَمَجَتْ بأرواحٍ أخْرَىٰ . ها نَحْنُ فَضاءاتٌ مُتَداخِلَةٌ . لَنا أقْدارٌ مُتَشابِهَةٌ لا تَبْحَثُ عَنْ إلهٍ ، ولا عَنْ حِكْمَةٍ للوجودْ .

كُنْتُ مِنَ الواهِمينَ الذينَ كُلَّما نَظَروا إلىٰ النُّجومِ وَجَدوها مَلاذًا ثُمَّ عَلِموا أنَّهُمْ لَنْ يُغادِروا التُّرابْ .

ما اسْتَطاعوا أنْ يَتَحَرَّروا مِنْ أرْضٍ ... هِيَ زَمَنٌ حَوْلَهُ أمْكِنَةٌ فكانَ طُموحُهُمْ أنْغامًا ... بِها يَمْكُثونَ ولو قليلاً في الفراغِ الذي يَتَماوَجُ فوقَ السَّحابْ .

كَبِرْتُ فصِرْتُ بَعيدًا عَنْ أيَّامِ أشعارِيَ الأولَى ... أراني هناكَ أتَعَجَّبُ مِنْ إيقاعاتٍ هي حروفٌ مُتَحَرِّكَةٌ تَدْنو مِنْ حروفٍ مَكَثَتْ في السُّكونْ.

لَـمْ يَـلْـحَـظْ أَحَـدٌ مـا بِـيَ مِـنْ مَـسٍّ ...
كُـنْـتُ أسـيـرُ فـي اللَّـيـلِ وحـيـدًا مُـعَـذَّبًـا
بـقَـصـيـدَةٍ لا تُـريـدُ اكْـتِـمـالاً فـأحـاوِلُ
أنْ أسْـتَـدْعـي كَـلِـمـاتٍ كُـنْـتُ وَحْـدي مَـنْ
يَـسْـمَـعُـهـا فـي الـظَّـلامِ الـصَّـمـوتْ .

إنَّـهُ رَحـيـلٌ ما إنْ بَـدَأتُـهُ رَضِـيـتُ بِـهِ ،
وقُـلْـتُ لَـنْ أعـودْ .

2014

الـجَـد

أشْعارٌ جَعَلَتْني أرَىٰ اللّيلَ أبْهاءً
تُفْضي إلىٰ أبْهاءٍ فسِرْتُ بِها ومِنْ
حَوْلي تَنْسابُ اللَّوْحاتْ .

رَأيْتُ الألوانَ تَعودُ باحِثَةً عَنْ جَوْهَرِها
قَبْلَ أنْ يُحِسَّ بِها الأحْياءْ .

صارَ الأبْيَضُ شَمْسًا ، ورَحَلَ الأصْفَرُ
فابْتَلَعَتْهُ الصَّحراءْ .

وانْشَقَّ الأزْرَقُ بَحْرًا وسَماءً ... أمَّا
الأسْوَدُ فكانَ مُخْتَفِيًا في الغُروبْ .

ثُمَّ راحَ يَنْسَلُّ نَحْوَ لَيْلٍ تَقِلُّ بِهِ النُّجومْ .

الألوانُ خِداعٌ ، والأشياءُ انْحازَتْ للألوانِ ، وما يَلُوحُ للعُيونِ يَقِينٌ وكَثيرٌ مِنْ ظُنونْ .

كانَ الاسْتِغراقُ في اللوحاتِ رؤًى جَذَبَتْني فَظَنَنْتُ أنِّي أتَحَرَّكُ بَيْنَ الشُّخوصِ ثُمَّ أكادُ أخْتَفي في الظِّلالْ .

تَحَوَّلَتِ الدِّراما التي في اللوحاتِ
إلى أزمانْ .

دَفَقاتٌ هِيَ الأزْمانُ أَبْعَدَتْني عَنِ
المَرْئِيَّاتِ ، وعَنْ أَسْرِ ألْفِ إطارٍ
يُحاصِرُ الألوانْ .

فإذا بي مُسْتَرْسِلٌ في موسيقَى
مُتَباطِئَةٍ ... لَمَّا اسْتَسْلَمْتُ لها
غافَلَتْني مُتَصاعِدَةً ثُمَّ جَذَبَتْني
مَعَها فصِرْتُ هارِبًا مِثلَها مِنْ ثَوانٍ
تَمِيلُ للخُفوتْ .

ها هِيَ الوَتَرِيَّاتُ تَمْضي بَعيداً عَنْ دَفَقَاتِ الأبْواقِ مُنْسابَةً إلى أحزانٍ كأنَّها لَحَظاتُ ما قَبْلَ البُكاءْ .

ثُمَّ عادَتْ مُنْدَمِجَةً بغَيْرِها مِنَ الوَتَرِيَّاتْ .

حَتَّى أفَقْتُ فَتَلاشَى كُلُّ شَيءٍ ... أحفادي تَسَلَّلوا نَحْوي فَلَمْ أشْعُرْ بأصْواتِ خُطواتِهِمْ ، ولمَّا أحَسوا بنَجاحِهِمْ في مُباغَتَتي أخَذوا مِنْ فَرْحَتِهِمْ يَصْرُخونْ .

2014

جندي ناجٍ من حروب أوروبا

كابوسٌ جَعَلَني أرَىٰ عَبيدًا مَقْتولَةً في العَراءْ .

هِيَ جُثَثٌ حاصَرَتْني فَسِرْتُ في حَذَرٍ ... لا أريدُ أنْ ألمِسَها أثْناءَ سَيْري . تَداخَلَتِ الأجْسامُ مَعَ الأشْلاءْ .

رَفَعْتُ رَأسي . إنَّني جُزْءٌ مِنْ لَوْحَةٍ هِيَ طِينٌ ومَوْتَىٰ ... ها دَرَجاتٌ مُتَباينَةٌ مِنْ أحْمَرِ الدِّماءِ يَتَخَلَّلُها قَليلٌ مِنْ ثُلوجْ .

هُناكَ أشْجارٌ قَدِ احْتَرَقَتْ ، ولا شَيءَ يَتَحَرَّكُ إلا خُطواتي . كُلَّما سِرْتُ رأيْتُ وُجوهًا كأنَّها نائِمَةٌ ... ظَنَنْتُ أنَّها سَتُفيقْ .

أعْدادُها تَزْدادُ مِنْ حَوْلي ، وأنا مازِلْتُ أتَفاداها . قُلْتُ لابُدَّ أنْ أنْتَهي مِنْ عُبورِها قَبْلَ أنْ يأتي الغُروبْ .

وقَبْلَ أنْ تَأتي العَواصِفُ حامِلَةً مَعَها طُيوراً جَوارِحَ ، وأصْواتًا كالعَويلْ .

أحَدُ الوُجوهِ قُبَيْلَ أنْ يَموتَ يَسْألُني : هَلْ كُنَّا في هَذِهِ الدُّنْيا عَبيداً ؟! فأجَبْتُهُ مُتَلَعْثِماً بصَوْتٍ غَيْرِ مَسْموعٍ : لَقَدْ صِرْنا عَبيداً لأنَّ مَنْ حَكَمُونا أرَادوا لَنَا أنْ نَسْتَعْبِدَ الشُّعوبْ .

ثُمَّ أفَقْتُ مِنَ الكابوسِ غَريباً ... لِماذا أطَعْناهُمْ حِينَ أمَرونا أنْ نَموتَ في الحُروبْ ؟!

2014

المُطارَد

في الحُلْمِ رأيْتُ «كافكا» شاحِبًا فَجارَيْتُهُ وصِرْتُ شاحِبًا مِثْلَهُ ... قالَ: " ما أكْثَرَ مَنْ يَكْرَهونَ اليَهودْ .

تَخَلَّصَ قَلْبي مِنَ الدِّينِ غَيْرَ أنَّهُ مازالَ خائِفًا مِنَ اللَّعَناتِ التي تُلاحِقُ اليَهودْ . "

كانَ سُعالُهُ مُتَغَلْغِلاً في صَوْتِهِ ، وعَيْناهُ كأنَّهُما تَبْحَثانِ عَنْ مَكانٍ مُنْعَزِلٍ يَسْتَطيعُ بِهِ أنْ يَموتْ .

قُلْتُ لَهُ إنَّ حَياتَكَ تَبْدو لي قَصيدَةً حَزينَةً ... أمَّا كِتاباتُكَ فإنَّها تَجْعَلُني تائِهًا في السَّراديبْ .

سِرْنا مَعًا مِنْ سِرْدابٍ إلى سِرْدابْ .

ناسٌ وغُروبٌ وظَلامٌ يُكَوِّنونَ عَشَراتِ العَلاقاتِ مِنَ الظِّلالْ .

هـنـاكَ شُـمـوعٌ مُـتَـنـاثِـرَةٌ أظْـهَـرَتْ قُضَـاةً حاكَـمـوهُ ... كانَـتْ تُـهْـمَـتُـهُ نَـفْسَـهُ الـمَـمْلوءَةَ بالحَيـاةِ ، وبَـحْـثَـهُ عَـنِ الحِـكـايـاتِ الـتـي في الطُّـرُقـاتِ وفـي الـبـيـوتْ .

رأيْـنـا جَـمْـعًا يُـحـيـطُ بِـتِـمْـثـالٍ ... هـو صاحِبُ الجَـريـمَـةِ والـعِـقـابْ .

شَـعَـرْتُ أنَّ لـلـتِّـمْـثـالِ رُوحـًا . إنَّـهُ مـاكِـثٌ فـي سُـكُـونِـهِ ، وتُـحـيـطُ بِـهِ الـنَّـبَـضـاتْ .

لَـقَـدْ أطْـلَـعَ الـنَّـاسَ عَـلَـى نُـفُـوسٍ هي ارْتِـبـاكٌ ولَـهـيـبٌ مـا لَـه انْـطِـفـاءْ.

مَـسـيـرَتُـهُـمْ قَـدْ أفْـصَـحَـتُ عَـنْ آفـاقٍ قُـصْـوى ... ما إنْ وَصَـلْـتُ إلـيْـهـا رأيْـتُ لا جَـدْوَى الـوجـودْ .

قـالَ «كـافـكـا» : " هـذا صـاحِـبُ الـيَـنـابـيـعِ الـتـي أخَـذْتُ مـائِـيَ مِـنْـهـا " ... فـلَـمَّـا الْـتَـفَـتُّ إلـيْـهِ راحَ إلى سِـرْدابٍ كـانَ مَـحْـضَ ظَـلامٍ وهـنـالِـكَ غـابْ .

2015

المُعيد

2015

- 1 -

صُرْصورٌ فَوْقَ الحائِطِ في حَمَّامِ قِسْمِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ بِكُلِّيَّةِ الآدابْ .

كانَ مُنْشَغِلاً بتَحْريكِ شارِبَيْهِ ، فازْدادَ ما عِنْدي مِنَ ارْتِباكٍ لِلأحْوالِ والأمْعاءْ .

قَبْلَ ساعَةٍ كانَ المُدَرِّسونَ – وأنا مَعَهُمْ – مُجْتَمِعينَ بالعَميدِ ... هَمَسَ زَميلٌ في أذُني « إنَّ العَميدَ لَمْ يَقْرَأْ كِتابًا قَيِّمًا مُنْذُ عَشَراتِ الأعوامْ » .

أوْعَزَ لَنا في لَهْجَةٍ آمِرَةٍ أنْ نَزِيدَ مِنْ وجودِ الآياتِ والأحاديثِ في دُروسِنا حَتَّى لا يَنْهارَ مُجْتَمَعُنا الذي كُنْتُ أراهُ مُنْهاراً مِنْ كَثْرَةِ ما فيهِ مِنَ النِّفاقِ والجُمودْ .

مازالَ الصُّرْصورُ هناكَ ، وأنا ماكِثٌ في كَمَدي لا أريدُ الخُروجْ .

- 2 -

أمامِي شَبابٌ مُمْتَلِئٌ بالتَّحْليقِ ،
وبالرَّغَباتْ .

أُدَرِّسُ لَهُمْ كُنوزَ الشِّعْرِ العَبَّاسِيِّ ،
وهُمْ عَنْ تِلْكَ الكُنوزِ عازِفونْ .

هناكَ طالِبٌ يَتَثاءَبُ وأنا مُنْهَمِكٌ في إيضاحِ جَمَالِ الرَّبيعِ الطَّلْقِ الذي يَخْتالُ ضاحِكًا ، وطالِبٌ آخَرُ يَسْتَأذِنُني أنْ يُغْلِقَ الشُّبَّاكَ حَتَّىٰ لا يَدْخُلَ الذُّبابْ .

كيفَ أجْعَلُهُمْ يَسْتَوْعِبونَ شِعْرًا ذا إيقاعاتٍ رَتيبَةٍ ، ومَعانٍ عاقِلَةٍ وهُمْ يَعيشونَ في مَدينَةٍ أصابَها الجُنونْ ؟!

ما كِدْتُ أَخْرُجُ مِنَ الرَّبيعِ القَديمِ
حَتَّى تَراءَى رَبيعٌ آخَرُ أمامي ... إنَّهُ
فَتاةٌ تَعَمَّدَتْ أنْ يُلامِسَ نَهْدُها ذِراعَ
زَميلِها الذي كَتَمَ ابْتِسامَتَهُ ثُمَّ أغْمَضَ
عَيْنَيْهِ كأنَّهُ قَدْ نامْ .

نَظَرْتُ إليْها فَزَلْزَلَتْني بِنَظْرَتِها
فَدارَيْتُ ارْتِباكي بِصَوْتٍ عالٍ يَسْأَلُ :
لِماذا بِيضُ الصَّفائِحِ أفْضَلُ مِنْ سُودِ
الصَّحائِفِ عِنْدَ أبي تَمَّامْ ؟

- 3 -

أكْداسٌ مِنَ الصَّفَحاتِ عَكَفْتُ عَلَيْها وأنا طالِبٌ ، والآنَ أُلْقي بِبَعْضِها إلى الطُّلابْ .

أكْداسٌ لَوْ وُضِعَتْ في كَفَّةٍ لَرَجَحَتِ الكَفَّةُ الأخْرَى التي بِها كُتَيِّبٌ يَحْتَوي عَلَى قَصائِدَ جَميلَهْ .

تَنْسابُ كالغِزْلانِ أو كالطُّيورِ ... إنَّ الشِّعْرَ وهوَ يَمْضي في أنْغامِهِ كأنَّهُ يَبْحَثُ عَنْ أنْغامٍ جَديدَهْ .

لِمَنْ أشْكُو عَلَى ما ضاعَ ويَضيعُ مِنْ أعوامْ ؟

- 4 -

الكاتِبُ العالَمِيُّ صاحِبُ الرِّوايَةِ المَشْهورَةِ يَزورُ جامِعَتَنا . قَرَأتُ رِوايَتَهُ فأصابَني الغَثَيانْ .

جاءَ مُحْتَمِيًا بمِئاتِ المَقالاتِ التي كُتِبَتْ عَنْهُ ... ثَلاثٌ مِنْها لَعَميدِ كُلِّيَّتِنا ، وعَشَراتٌ لمُدَرِّسي كُلِّياتِ الآدابْ .

إنَّـهُـمْ يَـتَـبـادَلـونَ الـمَـنـافِـعَ دونَ حَـيَـاءٍ ... كُـتَّـابٌ يُـنـافِـقـونَ الـكُـتَّـابَ الـمُـنـافِـقـيـنْ .

لَـقَـدْ صـارَ عـالَـمِـيًّا لأنَّ بِـلادًا كُـبْـرَىٰ صَـنَـعَـتْـهُ فـصـارَ واحِـدًا مِـنْ عُـمـلائِـهـا الـمُـخْـلِـصـيـنْ .

لا يَـنْـبَـغي عَـلَـيَّ أنْ أقْـرَفَ بَـعْـدَ الآنَ مِـنْ صَـراصيـرِ الـحَـمَّـامْ .

- 5 -

في أَحَدِ المَمَرَّاتِ اسْتَوْقَفَتْني طالِبَةٌ ثُمَّ في دَلالٍ سَأَلَتْني " لِماذا الأَعْدادُ مُؤَنَّثَةٌ مَعَ الرِّجالِ ، ومُذَكَّرَةٌ مَعَ النِّساءْ ؟! "

قُلْتُ " إذا كانَتِ الأَعْدادُ قَرَّبَتْ بَيْنَ المُذَكَّرِ والمُؤَنَّثِ فإنَّها حِكْمَةٌ أرادَها العَرَبُ القُدَماءْ ."

قالَتْ " أتَمَنَّى أنْ تَطْلُبَ مِنْ أصْحابِ الشَّأنِ أنْ يُقَلِّلوا مِنْ غَرائِبِ لُغَتِنا حَتَّى نَسْتَوْعِبَها . إنَّنا جَميعًا نَتَعَثَّرُ في الإعْرابْ . "

لَمْ أقُلْ لَها إنَّهُمْ لا يَأبَهونَ لِمِثْلي ، وإنَّني حائِرٌ أُداري ما بيَ مِنْ أسىً ، ولَسْتُ إلا فَوْضَى مِنَ الأحْلامِ والتَّساؤلاتْ .

" لِماذا لَمْ تَتَزَوَّجْ ؟ ألَسْتَ عَلَى أعْتابِ الثَّلاثينَ ؟ ألا تَشْعُرُ بِمَا حَوْلَكَ مِنْ حَوَمَانِ الفَتَياتْ ؟! "

فَهَرَبْتُ مِنْ فُضولِها وأنا أسْتَأذِنُها ... لا أحَدَ يَدْري أنَّ لَدَيَّ عَشيقَةً قَدِ اكْتَفَيْتُ بِها ، وأنَّ اللَّيْلَ عِنْدي إمَّا وجُودُها مَعي وإمَّا وجُودي خِلالَ سُطورِ كِتَابْ .

- 6 -

تَلُوحُ الدَّوْلَةُ لِمَنْ كانَ مِثْلي كِيَانَاتٍ غامِضَةً لَيسَ لَها مِنْ أبْوابْ .

بحَوْزَتِها خَدَمٌ يَعْمَلونَ لَدَىٰ أمْنِها ، وإعلامِها ، ويَغْتَرِفونَ مِنْ مالِها المَنْهوبْ .

كانَ العَميدُ أحَدَهُمْ ... ها هوَ عَلَىٰ الشَّاشَةِ يَسْتَشْهِدُ بالآياتْ .

لِلْمُذيعِ صَوْتٌ وَقورٌ يُخْفي بِهِ جَهْلَهُ، واللِّقاءُ عُنْوانُهُ " معًا ضِدُّ الإلحادْ " .

ها هوَ العَميدُ يَبْدَأُ بالأكاذيبْ .

" هُناكَ عُلَماءُ كِبارٌ ومَشْهورونَ أثْبَتوا بُطْلانَ ما جاءَ بِهِ « داروِنْ » مِنْ أوهامْ . "

ثُمَّ أظْهَرَ أوْراقًا لا أحَدَ يَعْرِفُ مِنْ أيْنَ أتَى بِها قائِلاً " لَدَيَّ الدَّليلْ .

ما كانَ الإنْسانُ قِردًا . إنَّ هذا يُجافي العَقْلَ ويُخالِفُ الأدْيانْ . "

حِينَئِذٍ أطْفَأتُ الشَّاشَةَ ، ورُحْتُ إلى الشُّرْفَةِ حَتَّى أسْمَعَ أصْواتًا أخْرَى ، وأرَى مَنْ يَمْكُثُ في الشُّرُفاتِ مِنَ الجِيرانْ .

- 7 -

تِلْكَ الفَتَاةُ غابَتْ عَنِ الجامِعَةِ بَعْدَ أنْ غَرَّرَ بِها مُعِيدٌ مُتَهَتِّكٌ كانَ أبوهُ العَميدَ فاحْتَمَى بِهِ مُسْتَمْتِعًا بضَحاياهُ مِنَ الفَتَياتْ .

وجاءَ الوُشاةُ يُخْبِرونَني أنَّها صَدَّقَتْ وُعودَهُ . خَدَعَتْها وَسامَتُهُ ، وقُدْرَتُهُ عَلَى إظْهارِ حَنينٍ كاذِبٍ بالبُكاءْ .

عاشَرَتْهُ مُحِبَّةً ، وحاصَرَتْهُ بغَيْرَتِها . كَتَبَتْ عَنْ حُبِّها عَشَراتِ الصَّفَحاتِ مِنَ التَّأمُّلاتِ الجَريئَةِ ثُمَّ لَمْ تَخْشَ أنْ تُهْديَ إليْهِ تِلك الصَّفَحاتْ .

فَأطْلَعَ أصْدِقاءَهُ عَلَيْها مُتَباهِيًا بِفَرِيسَتِهِ غَيْرَ مُكْتَرِثٍ إنْ تَطايَرَتِ الأسْرارُ ، وانْتَشَرَتْ بَيْنَ شَبابٍ مُمْتَلِئٍ بالأهواءْ .

في آخِرِ خَلْوَةٍ أحَسَّ أنَّهُ قَدْ مَلَّ مِنْها فَصارَحَها بِلا تَرَدُّدٍ " لَقَدِ انْتَهَى ما بَيْنَنا وعَلَيْكِ الذَّهابْ " .

قَدِ امْتَنَعَتْ عَنْ دِراسَتِها لأنَّها لا تُريدُ أنْ تَراهُ مَرَّةً أخْرَى . كانَتْ تُقاوِمُ رَغْبَتَها في أنْ تَقْتُلَهُ ثُمَّ تَأتِيها ساعَةُ لَيْلٍ تَجْعَلُها تَحِنُّ إلى تِلْكَ الأيامْ .

وجْـهُـها الـذي تَـغَـيَّـرَتْ مـلامِـحُـهُ مِـنْ كَـثْـرَةِ الـبُـكـاءِ ، وبَـقـاؤها الـدَّائِـمُ بالبَـيْـتِ جَـعَـلَ أهْـلَـهـا فـي ارْتـيـابْ .

أخَـذوا يُـطـارِدونَـهـا بأسْـئِـلَـةٍ مُـؤْلِـمَـةٍ جَـعَـلَـتْ مِـنْ حَـيـاتِـهـا كابوسًا فـتَـرَاءَتْ لَـهـا أشْـبـاحُ تَـبْـعَـثُ بِـهـا النِّـيـرانْ .

أفْـصَـحَـتْ وجُـوهُ أهْـلِـهـا عَـنْ سُـخْـطٍ ، واتِّـهـامٍ بأنَّـهـا فَـعَـلَـتْ ما يَـشِـيـنُـهُـمْ فـاخْـتَـفَـتْ هـارِبَـةً قَـبْـلَ أنْ يَـفْـتِـكـوا بِـهـا ... جَـريـمَـتُـهـا أنَّ الـعِـشْـقَ أخْـرَجَـهـا مِـنَ الـظَّـلامْ .

هَـرَبَـتْ فَـمَـا عـادَ أحَـدٌ يَـراهـا . هَـلِ انْـتَـحَـرَتْ ؟ هَـلْ سافَـرَتْ ؟ هَلْ لَـجَـأتْ إلى عَشيقِها ذي العَيْنَيْنِ الآسِرَتَيْنِ ، والنَّفْسِ المَمْلوءَةِ بالأوْحالْ ؟!

غِيابُها أظْهَرَ مَنْ أحَبَّها ، ومَنْ تَشَفَّى بِها ، ومَنْ تَمَنَّى لَها المَماتْ .

غَيْرَ أنَّها فاجَأتْ مَنْ يَعْرِفونَها بوجودِها في مُسَابَقَةٍ للرَّقْصِ الشَّرْقِيِّ قَدْ عُرِضَتْ عَلَى الشَّاشاتْ .

مُبْتَسِمَةً كانَتْ جَميلَةً مُغْرِيَةً ... ما ذلِكَ السِّحْرُ الذي يُشِعُّ مِنْها ، ويُوهِمُ مَنْ يَراها أنَّ حَياتَها لَمْ تَعْرِفِ الأحْزانْ ؟!

قَدَّمَها المُذيعُ قائلاً " ها هِيَ الرَّاقِصَةُ الجامِعِيَّةُ التي ضَحَّتْ بالعِلْمِ ... ناداها الفَنُّ فَلَبَّتِ النِّداءْ . "

- 8 -

جاءُوني فِي نَوْمي فَرَأَيْتُهُمْ رُءوسًا ... أمَّا أجْسامُهُمْ فَبَرامِيلُ ، وحَوْلَهُمْ سُكونٌ وشِتاءْ .

لَمَّا اطْمَأْنَنْتُ أنَّهُمْ لا يَسْتَطيعونَ إيذائي قُلْتُ لَهُمْ أنْتُمْ قِطَعٌ مِنْ مَنْظُومَةٍ كُبْرَىٰ هي ثَرْثَرَةٌ ، وصَغائِرُ تَذْهَبُ بالنَّاسِ بَعيداً عَنْ جَوْهَرِ الأشْياءْ .

صَرَخْتُ بِهِمْ أنْتُمْ مَوْتَى ... حِينَئِذٍ لاحَتْ طُيورٌ مُحَلِّقَةٌ وحَوْلَها أطْيافٌ وأصْواتٌ ... أخْبَرَني اللَّيْلُ أنَّها كانَتْ مَسْجونَةً ، والآنَ تَبْحَثُ عَنْ ضَياعٍ أبَدِيٍّ تَحْتَ الأفلاكْ .

أصْبَحْتُ حُرًّا ، وأعْدائي بَراميلُ ... كُنْتُ عَلَى يَقينٍ أنَّها فارِغَةٌ . ها هُمْ يَتَدَحْرَجونَ مُنْجَذِبينَ نَحْوَ هاوِيَةٍ تَلُوحُ بِها النِّيرانْ .

كانَ تَدَحْرُجُهُمْ قَعْقَعَةً أيْقَظَتْني فَوَجَدْتُ نَفْسي في صَمْتِ غُرْفَتي مُبْتَسِمًا . لَقَدِ انْتَقَمْتُ مِنْهُمْ بِحُلْمٍ مِنَ الأحلامْ .

- 9 -

لَوْلا أفْدِنَةُ أبِي لَضاعَتْ كَرامَتي . إنَّهُ يُرْسِلُ فاكِهَةً ولُحومًا أرْشو بِها الأسْتاذَ المُشْرِفَ عَلَىٰ رِسالَتي ... أبْعَدَتْني الرَّشاوَىٰ عَنْ بَعْضِ الهَوانْ .

أرادَ لي أنْ تَكونَ الرِّسالَةُ عَنْ «شَوْقي» ... هذا يَجْعَلُني في أسْرِ أشْعارٍ هِيَ ألفاظٌ فَخْمَةٌ ، ومَعانٍ تَصْلُحُ للأطفالْ .

إيقاعاتٌ بِها صَخَبٌ ، وحَلاوَةٌ بِها لُزوجَةٌ أمَّا مَسْرَحُهُ فإنَّهُ الدَّرْكُ الأسْفَلُ مِنَ الدِّراما والمَثَلُ الأعْلَى للمُبالغاتْ .

إنَّني أتَخَيَّلُهُ وهوَ يَشْرَبُ الخَمْرَ في قَصْرِهِ مُنْعَزِلاً عَنْ دُنْيا وثَقافاتٍ تَمُوجُ مِنْ حَوْلِهِ مُسْتَرْسِلاً في وَصْفِ أحْوالِ المَجْنونِ الذي أيَّامُهُ حُبٌّ وإغْماءْ .

ذلِـكَ الـمُـشْـرِفُ أدْرَكَ أنَّ بـنَـفْـسـي امْـتِـعـاضًا فـسَـأَلَـنـي مُـسْـتَـغْـرِبًا " كـيـفَ لا تَـرَىٰ ما بِـتِـلْـكَ الأشْـعـارِ مِـنْ جَـمَـالْ ؟! "

ثُـمَّ نَـصَـحَـنـي أنْ تَـسْـرِي الـمَـحَـبَّـةُ في كُـلِّ صَـفْـحَـةٍ أكْـتُـبُـهـا عَـنْ أمـيـرِ الـشُّـعَـراءْ .

- 10 -

ضَميري تَنْحَسِرُ عَنْهُ الأنْوارُ شَيْئًا فَشَيْئًا ، وثَمَّةَ صَدِيقٌ يُصارِحُني " لَنْ تَكونَ أديبًا وأنْتَ تَسِيرُ في نَفَقٍ لا نِهايَةَ لَهُ ... إنَّهُ إرْضاءُ الأوْغادْ .

أراكَ مَمْنوعًا مِنْ تَدْرِيسِ الأشْعارِ التي أنْتَ أحْبَبْتَها . كَيْفَ احْتَمَلْتَ ذَلِكَ الفِراقْ ؟!

عَلَيْكَ أنْ تَعودَ إلى بَيْتِ أبيكَ دونَ رَجْعَةٍ . هُناكَ لَنْ تَرَى وجوهًا لا تُطيقُها ، ولَنْ تَرَى نُصوصًا بِها قَليلٌ مِنْ حَيَاةٍ وكَثيرٌ مِنْ رائِحَةِ الأمواتْ . "

قُـلْـتُ لَـهُ هـذا يَـجْـعَـلُـني أحْـيَـا بَـقِـيَّـةَ
عُـمْـري مُـتَّـهَـمًا مِـنْ نـاسِ قَـرْيَـتـي
بـأنِّـي فَـشِـلْـتُ في أنْ أصْـبِـحَ أسْـتـاذًا
جـامِـعـيًّا ... حِـيـنَـئِـذٍ قَـدْ أتَـمَـنَّـى أنْ
أذْهَـبَ عَـنْـهُـمُ ، وأعـودَ إلـى الأوْغـادْ .

أمَّـا أبـي فـإنَّـهُ سَـوْفَ يَـلـومُـنـي لَـيْـلاً
ونَـهـارًا : أنْـتَ ضَـحَّـيْـتَ بـالمَـجْـدِ الأعْـلَـى
يَـوْمَ أنْ تَـرَكْـتَ حَـيَـاةَ الـجـامِـعـاتْ .

المحتـــوى

زيارة لأنوار قديمة	3
المَفـازَة	13
غرفة القدِّيس	17
بعض الملامح	27
الجَـد	51
جندي ناجٍ من حروب أوروبا	57
المُطارَد	61
المُعيد	67

أعمال الشاعر عادل عزت

	تاريخ الطبعة الأولى
1- المتصوفون الشعراء في الزمن العصيب	1983
2- اختباء النور	1988
3- العرب القدماء	1990
4- هواجس الشاعر المقتول	1990
5- السبعة	2000
6- ظلام المرسم	2006
7- البيت المسكون	2009
8- قصائد الفاني الأبدي	2010
9- الهجرة بعيداً عن عواصف الحجاز	2011
10- أعوام من الإسراء	2012
11-بعض الملامح	2015

لمراسلة الشاعر

adelezzat2@gmail.com

دواوين الشاعر عادل عزت على الموقع

www.adelezzat.com

ت : 21902025 - 21902022 (02)

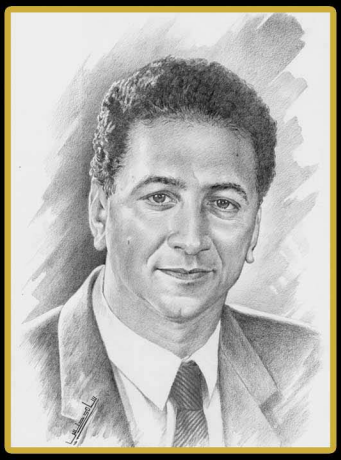

أعمال الشاعر

* المتصوفون الشعراء في الزمن العصيب
* اختباء النور
* العرب القدماء
* هواجس الشاعر المقتول
* السبعة
* ظلام المرسم
* البيت المسكون
* قصائد الفاني الأبدي
* الهجرة بعيداً عن عواصف الحجاز
* أعوام من الإسراء
* بعض الملامح